

المقطف

الجزء السادس من المجلد الحادي والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ - الموافق ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٤

سيناء والعقبة

حتى الاسبوع الاول من الشهر الماضي والحرب على قاب قوسين او ادنى وموقع الخلاق
الحد الفاصل بين مصر والشام . لكن انفجرت الازمة حالاً كما اشتدت حالاً وقد وثقها
الصحف اليومية حقها من التفصيل فنقتصر على ذكر جغرافية البلاد التي عليها الخلاف وتاريخها
الغابر ووضفها الحاضر لعل في ذلك فائدة للقراء

يفرخ البحر الاحمر من طرفه الشمالي الى فرعين او لسنتين احدهما غربي ومدينة السويس
في طرفه ويسمى خليج السويس والآخر شرقي وقلمة العقبة في طرفه ويسمى خليج العقبة والارض
بينهما صحور وصحاري وهي الآن قاحلة قليلة السكان ولكنها لم تكن كذلك في غابر الازمان .
ويظهر سيناء في منتصفها بما يلي رأس المثلث الذي بين السنتين وعلاقته بتاريخ اليهود
والنصارى اشهر من ان تذكر . وقد ذكرنا طرفاً من تاريخها منذ عشر سنوات في كلامنا
على " ايلة البراء والاباط " وما بعض ما ذكرناه هناك

" قال ابن خلدون في الجزء الثاني من تاريخه ان خالد بن الوليد قال لعبد المسيح اخيرني
بما رأيت من الايام قال رأيت المرأة من الحيرة تضع مكنتها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي
الشام في قرى متصلة وبساتين ملتفة وقد اصحبت اليوم خراباً . ثم ترمى ابن خلدون عن
ذلك بقوله ان الله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

" اذا خرج السائح من مصر قاصداً الشام برأ بطريق العقبة وجبال الشراة فاول مكان
يلتقى من حدود الشام العقبة عند طرف اللسان الشرقي من لساني البحر الاحمر . هناك
كانت مدينة ايلة وعلى مقربة منها كان مرفأ من سليمان الحكيم التي كانت تجلب له البضائع
من الهند وشرقي اريثية ذهباً وصدلاً وحجارة كريمة . استلك بنو اسرائيل تلك المدينة في

ايام داود وتعاتب عليها ملوكهم وملوك ارام (الشام) الى ان تغلب عليها رصين ملك ارام
 قبل المسيح بنحو سبع مئة وخمسين سنة وبقيت فرضة لسفن الدامية الى بلاد الهند والآنية
 منها . وتضر أهلها في بدء النصرانية وصارت كرمي اسقف وبقيت كذلك الى ان فزا النبي
 محمد عزوته الاخيرة الى تيوك فاناه يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة فصالحه على الجزية وكتب
 له النبي كتابا فبلغت جزيتهم ثلثة دنانير ثم زاد فيها اظلفاه من بني امية فلما كان عمر بن عبد
 العزيز لم يأخذ منهم غير ثلثة . ومن ثم غاب ذكر هذه المدينة فلم تعد تذكر في كتب
 التاريخ الا نادرا . ويقال ان الصليبيين اخذوها سنة ١١١٦ للمسيح واستردوها صلاح الدين
 الايوبي منهم سنة ١١٦٧ . ثم اخذها رينك شاتيلون سنة ١١٨٢ . وذكرها ابو الفدا بعد ذلك
 فقال والقائم وايلة على ذراعين او لسانين من البحر قد طمنا في البر الشمالي وصار بيت
 اللسانين المذكورين للبر دخلة الى الجنوب في البحر وفي تلك الدخلة الطور وعلى طرف اللسان
 الشرقي ايلة وعلى طرف اللسان الغربي القلزم . ثم قال " وايلة كانت مدينة صغيرة وكان بها
 زرع يسير وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم القردة والخنازير وهي في زماننا برج ويد والى
 من مصر وليس بها مزدرع وكان لما قلعة في البحر فاطلقت ونقل الوالى الى البرج في الساحل " .
 ولم يبق الاث من هذه المدينة الا الاتقاض وليس العبارة بها بل بمرافها الذي كان فرضة
 الشام الى الهند وجنوبي اريقية ومقر تجارة واسعة الشطاط كثيرة انكاسب جعلت النضة
 والقعب في اورشليم مثل الحجارة كثيرة فانتظمت التجارة وخربت المدينة ودمم المرفأ وليس
 في بلاد الشرق كلها من سأل عن سبب ذلك "

والنتى الان الى ما قاله باقوت الحموي عن ايلة في مجمع الجغرافى فاذا خلاصة " ان
 ايلة بالنصح مدينة على ساحل بحر القلزم وقيل هي آخر الحجاز واول الشام ... وقدم يوحنا
 بن رؤبة على النبي من ايلة وهو في تيوك فصالحه على الجزية وقرر على كل عالم بارضه في
 السنة دينار ا فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار واشترط عليهم قرى من مرهم من المسلمين وكتب لم
 كتابا ان يحتفظوا ويصنوا فكان عمر بن عبد العزيز لا يزود على اهل ايلة عن الثلاثة دنانير
 شيئا . وقد قال احمدة بن الجلاح يروى ايلة

فا هبرزي من دنانير ايلة يا بدي الوشاة فاصح يتا كل
 باحسن منه يوم اصبح ناديا وتفسى فيه الحمام المجل

"وقال محمد بن الحسن المهلبى مدينة ايلة جليلة على لسان البحر الملح وبها يمنع حج النسطاط
 والشام - وخراج ايلة ووجوه الجيايات بها نحو ثلاثة آلاف دينار وينسب اليها جماعة من

الرواة منهم يونس بن يزيد الايلي صاحب الزهري توفي بصعيد مصر سنة ١٥٢ واصلح بن اسمعيل بن يعقوب الايلي مات بأيلة سنة ٢٥٨ وحنان بن ابان بن عثمان الايلي ولي قضاء دمياط وتوفي بها سنة ٣٢٢

ويؤخذ من ذلك كله ان مدينة ايلة التي قامت العقبة مقامها كانت فرضة بحرية طامة منذ ثلاثة آلاف سنة وعظم شأنها في زمن الملك سليمان الحكيم ثم ضعفت رويداً رويداً حتى لم يبق فيها في بدء تاريخ الاسلام سوى ثلاثمائة بالغ او ثلاثة آلاف وكان أكثر أهلها حينئذ من اليهود فادعوا ان معهم كتاباً من النبي لكي لا يتألوا بكروهم . ثم اشتهرت في الحروب الصليبية وضعت شأنها بعد ذلك حتى لم يبق بها في زمن ابي النداء سوى برج بو وال من مصر لكنها عادت فازدهت بعد ذلك وذكرت في القرن الخامس عشر كدبنة من المدائن الكبيرة وعادت فانحطت وليس بها الآن الا قلعة حصينة لها اربعة ابراج على زواياها الاربع وهي في يد الحكومة العثمانية . ويتبدى الحد المفق عليه بين مصر والاملاك العثمانية على ثلاثة ايام غربياً ويمتد من هناك شمالاً غرب الى ان يصل الى عمودين نصبا في عهد اسمعيل باشا قرب رنج الى الشمال الشرقي من الريش كما ترى في الخريطة المقتابلة

اما بركة ميناء اوشيه جزيرة ميناء فاكثرها تقار قاحلة وبينها اودية خصبة يبت فيها النخل واللطفاء وكثير من الاغشاب والاشجار التي ترعاها الجبال ويقع فيها مطر خيزر تبرح به الاودية وسكانها نحو ثلاثين الفا من البدو . فاذا وجهت الحكومة المصرية حاجتها الى تعميرها كما وجهتها الى تعمير السودان لم يتعد عليها ان تبني سدوداً لحفظ مياه الامطار وارواها الاودية بها فيكثر فيها الزرع والغرس ويخلط هواؤها وتنزل امطارها وتعتبر مصيفاً لاهالي هذا القطر وربما عاد الناس الى استخراج النعب والقصاس منها كما كانوا يستخرجونها قديماً هذا من حيث الطرف الجنوبي الشرقي من طرفي الحد الفاصل بين مصر والشام اما الطرف الشمالي الغربي فقال فيه بذكر في دليله لسورية المطبوع سنة ١٨٩٨ ما ترجمته

من غرة الى الريش ١٣ ساعة . في ساعة وخمس دقائق تصل الى تل العجول قرب وادي غرة الذي يتبدى من عند حبرون ويمر بقرب بير صبح . وعلى ساعة الى الجنوب الشرقي من تل العجول بقرب تل الجمعة خرائب ام جرار وبعد ساعة وربع دير البلح (ومردام القديمة وهناك جامع الخضر قائم على خرائب كنيسة قديمة) ثم تصل بعد ساعة و٣٧ دقيقة الى خان يونس وفيه جامع حسن البناء من عهد السلطان يرتوق والى الجنوب من خان يونس حد الديار المصرية . وبعد ساعة و ١٧ دقيقة تصل الى تل رنج وبعد ساعتين ونصف الى الشيخ

زواد ويعدُّ الى خربة البرج ثم الى وادي العريش وبعد ٢٠ دقيقة تصل القنمة والكورنتينا
والعريش مدينة رينوكولورا القديمة وقرب الصحريج الذي في ساحة قلعتها ناووس
مصري قديم عليه كتابات مصرية. ويقال ان ملكاً حبشياً من ملوك مصر بناها منقياً للنجاة
وكانت كوسى استتية في اول عهد النصرانية ومات فيها يلدوين الاول ملك اورشليم سنة
١٢١٨ ولا يزال فيها حجر يقال له حجر يردويل اي حجر يلدوين. واخذها نبوليون في ١٨
فبراير سنة ١٢٩٩ وفيها عقدت معاهدة العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ التي بموجبها خرجت
الجنود الفرنسية من القطر المصري

وقال أبو الفداء "وما هو داخل في حد مصر الجفار وهو المعروف برمل مصر ويو منازل
السقارة اشهرها واكبرها فطية ثم الزيادة وبها سكان ويخيل والذي يحيط بالجفار بحر الروم
من ربح الى بحيرة تيمس ومن بحيرة تيمس الى القنم ومن القنم الى تيه بني اسرائيل ومن
تيه بني اسرائيل الى بحر الروم حد ربح من حيث ابتدأنا واما تيه بني اسرائيل (اي شبه
جزيرة سيناء) فيقال ان طولها اربعون فرسخاً (١٢٠ ميلاً) وعرضة قريب من طولها وارضه
صلبة وفيها رحال وبها عيون ردية الماء ويحيط به الجفار وحدود القنم وحدود بيت المقدس.
ومن الاماكن المشهورة بالجفار ربح وهي منزلة في طرف الجفار من جهة الشام وعلى مرحلة
من غزوة العريش وهي الآن منزلة على شط بحر الروم وبها آثار قديمة من الرخام وغيره وهي
في الغرب والجنوب من ربح على مسيرة يوم. قال ابن بطريق وسمي الجفار لان الدواب تجمر
فيه اي تهللك من السير. قال ابن حوقل ان الجفار في ايام فرعون كانت مسمورة بالقرى
والياه وعنها قال الله وحرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يرشون ولذلك سمي
العريش عريشاً"

وكانت ربح مدينة عامرة على ما قاله المهلبى " فيها سوق وجامع ومنبر ونادق وطا والى وعلى
ثلاثة ايمال من ربح من جنب غزوة شجر حمير مصطف من جاني الطريق عن النجمن والشمال
تجوز الف شجرة متصلة اخصان بعضها بعض مسيرة نحو ميلين وهناك منتطح رمل الجفار"
هذا ويبعد عن الاحتمال ان تبقى الحدود بين مصر والشام قفراً بلقماً كما هي الآن فان
ثلاثين سنة كتفت لاحادة العمارة الى القطر المصري فتضاعف عدد سكانه وفاضت الخيرات
عليهم. وثلاثون سنة تكفي لاعادة العمارة الى الشام اذا تولاه اناس يحسنون سياسة
ويصلحون اموره فتضاعف عدد سكانه وتفيض الخيرات عليهم وحينئذ تنصل مصر بالشام
بسكك الحديد ويصير كل قطر منهما متمكناً للقطر الآخر